

# من أطراف الأحاديث (5)

## الكويتيون الدارسون في مصر قديماً.. مواقف وحكايات طريفة



بقلم: د. يعقوب يوسف النعيمي

عليه اسم: بيت الكويت في القاهرة. وكان ذلك في شهر أكتوبر لسنة 1945م. وقد جرى افتتاحه رسمياً بحضور مؤيد من وزارة المعارف المصرية. وبعد أن استقرت الأمور في هذا البيت الذي عُيّن له - مشرفاً آنذاك - الأستاذ عبدالعزيز حسين بعد أن تخرج، وصار الاهتمام كبيراً بالأنشطة المختلفة التي تقيد الطلاب بفوائد إضافية بعد انتهائهم من مذاكرة دروسهم، فكان هناك نشاط ثقافي، وأخر رياضي، ونشاط في مجال الرحلات والاستطلاعات. وكان من ضمن النشاط الثقافي صدور مجلة البعثة كما مر بنا آنفاً.

ولقد وجد أولئك الطلاب النجباء في مجلتهم هذه مجالاً للتعبير، وللمران عليه، حتى لقد وصل مستوى ما يقومون بكتابته إلى درجة عالية من الإجادة، وصار من المهم لنا أن نعود إلى ما كتبوه في ذلك الوقت المبكر لكي ننظر إلى تلك الجهود التي بذلها أبناء وطننا في سبيل الوصول إلى نيل المقدر التي نذفع بهم، وتعينهم على خدمة وطنهم في وقت كان في أشد الحاجة إلى جهود أبنائه، ولن نذكر - بصورة عامة - المقالات والبحوث التي نشرها هؤلاء الأبناء في مجلتهم التي استمر صدورها مدة وصلت إلى سبع سنوات فذلك يحتاج إلى وقت طويل، ولكننا سوف نغني هنا بذكر ما كتبوه في مجال الطرائف، وأكثر ما وجدناه لهم منها تلك التي حدثت أحياناً أثناء وجودهم هناك فعبروا عنها في مجلتهم، وهي طرائف لا تزال تلفت الأنظار، وتمنح الانطباع الصحيح عن أحوال هؤلاء الأبناء في ذلك الوقت العجيب، ومن هنا نبداً:

هذه نماذج لطرائف كتبها بعض طلاب الكويت عندما كانوا يتلقون العلم في القاهرة. وكان ذلك في السنة الدراسية 1948-1949م. وقد نشرت لهم هذه الطرائف مجلة البعثة التي أصدرها بيت الكويت هناك حتى تكون رابطاً بين الأبناء وأسرتهم في الكويت. وحتى يتطلع قراؤها من غير أبناء الكويت على معلومات كافية عن بلادنا.

واستمرت هذه المجلة في صدورنا منذ شهر أبريل لسنة 1947م حتى توقفت في سنة 1954م. وقد تطورت كثيراً خلال السنوات الأخيرة من صدورنا، فصارت صورة واضحة للكويت، وحركة الحياة فيها. كما صارت مقروءة في عدة بلدان عربية، وصار ينشر فيها هذه الفترة - إلى جانب طلاب البعثة الكويتية - عدد من الأدباء والشعراء المعروفين، وغدت ذات شهرة كبيرة. كانت أول بعثة طلابية كويتية قد أرسلت إلى مصر في سنة 1939م، وكانت تضم كلا من الأستاذة: عبدالعزيز حسين وأحمد العدواني ويوسف منشاري الحسين البدر، ويوسف العمر. ثم تالتت البعثات بعد ذلك حتى صار عدد الدارسين هناك كبيراً. يضاف إليهم عدد آخر من صغار التلاميذ الذين أرسلهم أهلهم للفرص ذاته على حسابهم الخاص من أجل الدراسة في مدارس داخلية منها ما هو في القاهرة، ومنها ما هو في الإسكندرية.

وقد لمست دائرة معارف الكويت الحاجة إلى ضرورة إسكان مبعوثيها في سكن ملائم يجمعهم، وفيه ما يكفل راحتهم، ويسهل عليه مهمتهم في طلب العلم ومذاكرته، فقررت افتتاح سكن يشملهم أطلقت



يعقوب الحميضي



جاسم المشاري



الشيخ جابر العبدالله



عبدالله أحمد حسين الرومي



أحمد عبدالسلام شبيب



أحمد يوسف العيسوي

دائرة لمجتمع أيا منا من الإفلات، وكان الرميل الفاضل قاسم المشاري أول من اقتيد وكان يصيح بصوت متشنج قائلاً «إحنا مش مصريين يا أفندي»، ولكن هذا لم يفده شيئاً فمسخه أفتان كل منهما في عضد ودفعاه إلى الأمام، فارتفع عن الأرض ذراعاً ولكنه أبى إلا أن يتحداهما فأخذ يحرك رجله ماشياً في الهواء!.. وبالقرع منه زميل المحبوب إبراهيم الملا يسير في ركابه شرطيان أمسكه أحدهما عند كتفه ففاض عنقه ووجهه في المعطف ولم يبق إلا زر طربوشه الأسود يلعب الجو!..

أما الرميل المحترم سليمان الخالد فلا أستطيع وصف حالته لأنني لم أره أثناء حدوث هذا الأمر. وكل ما رأيته غير تأسر وعجاجة قائمة تحب أمامنا مسرعة، يبرز خلالها أحياناً حذاءان أسودان غليظان وبينهما حذاء عادي يرتفع بضع سنتيمترات عن الأرض..

هذا ما حدث وما رأيته من الإخوان، أما أنا فبعد نهاية الشدة شعرت بالهم في الكنف الأيمن وحرارة في قفائي..

وقد ذكر أبو حسام في كلمته ثلاثة أسماء لزملاء له في الدراسة اقتضى سياق حديثه ذكرهم، وهم:

1- قاسم مشاري وهو جاسم مشاري الحسن البدر وقد مضى الحديث عنه قبل قليل.

2- إبراهيم الملا، ولم يرد في المجلة اسمه كاملاً، ولكن نشاطه كان ملحوظاً تشبهه به صفحاتها، إذ كان مشاركا في كل ما تطلب منه المشاركة فيه بزملائه، وكان يتلقى دروسه في كلية التجارة بجامعة القاهرة.

3- السيد سليمان حمود الزيد الخالد، من خيرة شباب الكويت العاملين في المجالات التي تهتم البلاد وأهلها، تخرج في كلية التجارة بجامعة القاهرة سنة 1958م، وكان وكيلاً لوزارة المالية والنظ لشؤون الجمارك والمواني، وتم اختياره وزيراً للمواصلات في سنة 1975م. ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة 1990م.

وكتب الأستاذ أحمد العامر الفقرة الثانية في هذا الفصل، وكانت فقرة ذات صفة فكاهية، ونصها:

«كان ذلك في العام الماضي عندما حضرت إحدى حفلات الأنسة أم كلثوم وقد غنت فيها وصلة جديدة أبدعت فيها، وما كادت تنتهي من غنائها حتى وقف من خلفي رجل سمين والقي - مرتجلاً - خمسة أبيات من الشعر في مدح أم كلثوم واطراء غنائها، وقد استعاد الجمهور أبياته وصفق له استحساناً، وقد أعجبت بشعره كغيري من المعجبين مما دفعني إلى أن أذهب إليه وأطلب منه أن يملئ علي قصيدته، وما كنت أقرب منه وورقتي وقلبي في يدي وأنا نوعاً ما (كاشخ) وجمهور المعجبين محيطون به حتى صاح أحدهم وهو يشير إلي بإصبعه: الصحفي أهو! فأشربت الأعناق إلى، ومن ثم فتح الشاعر يديه وقلبه لتحتي وترحب بي.. كيف لا وأنا سانشر قصيدته واسمه في صحيفتي كما يعتقد هذا والجمهور يراقب حركاتي وسكناتي. وسألني عدد كبير من الواقفين عن الصحيفتي التي أمثلها ولكنني تجاهلت سماع هذا السؤال...»

هذا والشاعر يملئ علي قصيدته وهو يترنم بألقائها وابتسامته الغريبة لا تفارق شفثيه.. أما أنا فقد أخذت أبحث لغفسي لا تفارق شفثيه.. أما يحيى صحفي حقيقي، وقبل أن أكمل القصيدة جاء أحدهم يطلب الشاعر المقابلة أم كلثوم لتسخره علي قصيدته، فما كان منه إلا أن التفت إلي وقال: اتفضل معاً يا أستاذ للست، فسرت في أثره ناسياً موقفي والورطة التي تورطت فيها، ولم يذكرني ذلك إلا منظر اثنين من رجال البوليس الواقفين علي غرفتها، فتأخرت قليلاً في اللحظة مرسوماً. عاد إلي الكويت مشغول البال بالشأن العام، فكان يكتب مقترحات إلي الجهات المعنية دون توقف، أصدر جريدة الوطن، وكان يتولى تحريرها بالكامل.

حول البيت باحثاً عنه، وبعد عدة دورات حولته وجدني بعض التلاميذ الذين أرسلهم المشرف للبحث عني، فنادوني، ولما سمعت النداء التفت وبهذه اللفظة تمت تلك الجولة المشؤومة وقد كانت الساعة إذ ذاك الخامسة مساءً.

4- وكتب آخر فقرة ضمن هذه المجموعة الأستاذ محمد الفهد، وكان رجلاً طيباً محبوباً من كثير من الناس، ومن الصق أصدقائه به الأستاذ أحمد البشر الرومي والأستاذ حمد الرحب، تدرج بعد تخرجه في عدة وظائف، وكان آخر عمل له هو شغله لمنصب وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل. وقد كتب ما يلي: «دعانا متديراً مصري في الغداء يوم العيد، وكان الوقت متأخراً جداً، مما جعل مصاريفنا تتراكم من الجوع، والحسن الحظ - أو لسوءه - أنه لما دعينا إلى المائدة كان الطعام يقدم إلينا على دفعات، الأمر الذي لم نالقه في الكويت فكان كلما قدم إلينا نوع أتيناً عليه في طرفه عين، ولم تنتبه إلى أن الدعان لم يشاركونا في الطعام إلا بعد أن حضرت الفاكهة... وشعر أحدنا بعمليتنا هذه، فقال «ياجماعة... أنتم نايمين وإلا صاحين فشتلونا» ولكن بعد فوات الأوان!.. والأدهى من ذلك أنه في صبيحة اليوم التالي حدثت مشادة بين أحدنا وبين الدعان في المدرسة لسبب تافه جعلت زميلنا الكويتي يأخذ بتلابيبه لولا أن يادره أحدنا قائلاً «عيب يا أخي!.. الأكل ما منزل من البلعوم!.. عيب... فأنفجرنا ضاحكين...».



يوسف محمد الشايبي

معهم في المظهر سوياً مرتدياً بذلة خاكية وهي البذلة الوحيدة التي كنت أملكها، وبعد قليل أقبل الكمساري قائلاً تكتس، فكان كل جندي يقول له، هومج؟، فيطلب منه ثلاثة مليمات ولما وصلني قلت له بدوري «هومج» لأنني أجعل نظام الترام وتعاليمه فأخذ مني ثلاثة مليمات أيضاً وهكذا كنت أمثل هذا الدور المضحك كجندي حليف ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع لبست بذلتي الجديدة وركبت الترام مختاراً مكاناً لا يلقا بمظهري الجديد وجاء الكمساري قائلاً «تكررة يا أفندم»، فأعطينه ثلاثة مليمات كالعادة، فسألني عن وجهتي، ولما أخبرته طلب مني ثلاثين مليماً، وحاولت أن أفهمه أنني تعودت الركوب كل يوم بثلاثة مليمات لا ثلاثين.. بيد أن محاولاتي ذهبت عبثاً، وكاد يمسك بتلابيبه بعد ما نفذ صبره لولا أن تدخل أحد الركاب أفهمني أن المدنيين يدفعون ثلاثين مليماً في الدرجة الأولى للمسافة التي أريدها..

ومازلت منذ ذلك اليوم أضحك من بذلتي الخاكية التي وفرت علي ستين مليماً في ثلاثة أيام خسرت نصفها في أقل من لمح البصر...»

3- وكتب المهندس حامد عبدالسلام هذه الفقرة، وأسسه حامد عبدالسلام شبيب، كان مهندساً ماهراً، تلقى مزيداً من العلم بهذا الفن بعد تخرجه في كلية الهندسة بمصر، ثم التحق بعدة دورات في بريطانيا، وكان عمله في دائرة بلدية الكويت، وقد تدرج في وظائفها حتى صار رئيساً للمهندسين.

أما نص الفقرة التي كتبها فكما يلي: «ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي لوصولنا إلى القاهرة فنزلت من الترام في محطة يقربها مدرسة، فلما وصلت بابها وهممت بالدخول أو فقتني البواب وكلمني كلاماً لم أفهمه، وحانت مني الفتاة إلى لافتة المدرسة فإذا هي روضة أطفال!.. حينئذ ييمت شطر الشرق ولم أزل أسير حتى اصطلمت بجبل المقطم!.. وهناك سالت عن الزملاء، وركبت الترام إليه، ولما نزلت أخذت أطوف الشوارع التي

وإذا بسكرتير البيت يدعوني من بعيد. فلما اقتربت منه سألني عن ثمن البيجامة فقلت له (أخرص) فأنبهت وسكنت فجأة وقد تغير لون وجهه ثم قال وهو يهملق في وجهي: أشكرك على هذه الأخلاق النبيلة!.. فاستغربت وأعدت القول مرة أخرى مداعباً (مانتخرص؟) فصاح في وجهي: (اسكت... يا..) وقبل أن يتم كلمته فهمت أن كلفه مني كان في منتهى الغلط إذ أنه ظن أن كلمة (أخرص) الكويتية بمعنى كلمة (أخرص) المصرية وتعاونت مع بعض الزملاء على إفهامه أن كلمة (أخرص) معناها خمن ثمنها وكفى الله شر ما كاد يحدث...»

ويبدو أن طلبة بيت الكويت قد وجدوا في صدور هذه المجلة فرصة للتعبير عن ملاحظاتهم وتجاربهم التي حصلوا عليها نظراً لانتقالهم إلى موقع بعيد عن بلادهم ومن أجل ذلك فإنها قد قدمت للفصل الذي نشر في ص 54 من المجلد الأول بما يلي:

«عندما جاء الطلبة الكويتيون إلى مصر كان المحيط جديداً عليهم، والأنظمة مختلفة عما عهدوها في الكويت، والحياة على العموم غريبة عنهم، مما نتج عنه حدوث بعض الطرائف والمفارقات المضحكة لبعضهم، وستوالي في هذا الباب نشر ما وصلنا من الطلبة من هذه الطرائف والمفارقات...»

وفي هذا الفصل أربع فقرات هي كما يلي:

1- الفقرة التي كتبها الأستاذ حمد يوسف العيسوي، وهو ابن الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، كان آخر عمل تولاه هو رئاسة ديوان الموظفين، وكان له دور مهم في بداية تنظيم الوظائف الحكومية في البلاد، وشارك في عدد من اللجان التي كونتها الحكومة لهذا الغرض، ثم تقاعد وافتتح مكتباً للمحاماة، فهو خريج كلية الحقوق بجامعة القاهرة، أما ما كتبه فكما يلي: «في إحدى الصحف وجدت إعلاناً جذاباً عن شيء يسمى براندي، وصف بأنه مفيد ومقو للجسم، فما كنت أخرج من المدرسة حتى يادرت بالذهاب إلى المحل الذي ذكرت المجلة أنه يباع فيه وطلبت منه زجاجاً براندي، فنظر إلي الرجل لحظة ثم قال: حضرتك تلميذ وعاوز تسكر؟!.. وقبل أن يتم جملته كنت أتلمس لرجلي موضعاً من الشارع العريض...»

2- وهذه الفقرة من كتابة المرحوم يوسف محمد الشايبي، الذي عمل في إحدى الوظائف الحكومية بعد تخرجه، ثم تولى إدارة بنك التسليف والادخار، وسار به إلى أداء الغرض من إنشائه.

كان والده الشيخ محمد الشايبي مدرساً، وقد أسعدني الحظ أن تلقيت بعض دروسه عليه في المدرسة الاحمدية خلال سنة 1948م. وقد قال في فقرته: «في أول يوم من مجيئنا إلى مصر اتفق أن ركبت الترام مع ثلثة من جنود الحلفاء وكنت

كان أول فصل من الفصول التي اتصفت بالطرافة، تحت عنوان: «أطرف ما حدث لي» في الصفحة الخامسة والثلاثين من المجلد الأول بحسب طباعة مركز البحوث والدراسات الكويتية. ويضم هذا الفصل أربع فقرات هي كما يلي:

1- كتب هذه الفقرة محمود توفيق، وكان من طلاب البعثة القدماء وله مشاركة كبيرة في الأنشطة الثقافية، وقد توفي شاباً. يقول: «لم أكن أفهم في بادئ مجيئنا إلى القاهرة اللهجة المصرية الدارجة وجلست أتحدث يوماً مع أحد المدرسين المصريين فأخذ يوجه إلي أسئلة كثيرة وكانت كلها تحتمل الرد بالإيجاب فكنت أرد عليه: بلي... بلي... بلي...!.. فرائته يتضايق مني ولم مانخشني بأجدع.. أنت عمال بتقول بلي.. بلي.. بلي... جاك البلا، ولم أعرف إن كان جادا أم هازلاً.. ومنذ ذلك اليوم حرمت علي نفسي لفظة بلي أمام المصريين...»

2- وكتب الشيخ جابر العبدالله الجابر الصباح هذه الفقرة:

والشيخ جابر غني عن التعريف، فقد كان في سنة 1949م نائباً لوالده الشيخ العبدالله الجابر الصباح في رئاسة دائرة المحاكم. وبعد الاستقلال اختير محافظاً للأحمدي، ثم وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل. وهو رجل واسع الثقافة له صلات قوية بكثير من أصحاب الفكر. ويستقبل في ديوانه كثيراً من المحبين له. وكان نص هذه الفقرة كما يلي:

«دخلت أحد المطاعم يوماً فللمحت في إحدى زواياه رجلاً فرنسياً قد تجاوز السبعين وقد أطلق شعر رأسه ولحيته، ووضع أمامه أدوات الرسم وفي يده لوحات يرسم عليها.. فجلست قريباً منه لأرى، أو كما يقول المثل الكويتي (أبليغ شفي) وإذا به ينظر إلي من طرف عينيه.. فقلت أنه لا يريد أن أنظر في صورته وصرفت بصري إلى الشارع تأمل العابدين والرائحين وبعد نصف ساعة تقريباً أحسست بمن يلمس كتفي والتفت وإذا بالسام قد وضع اللوحة أمامي وقال لي: مارأيك فيها؟ فقلت - وقد خرجت مني هذه الكلمة سهواً (زيتة). فرقع الرجل إلي رأسه وهو يقول: أتسمح بإعادة ما قلت؟ فقلت له: متأسف إنني أقصد أن أقول (كوبسه).. فسحب أحد الكرسي وجلس بجانبني وأخذ يسألني عن مولتي فلما قلت له إنني كويتي.. ذكر لي أنه يعرف الكويت. وقد زارها سنة 38 قبيل نشوب الحرب.. وذكر لي بعض أسماء التجار وأنه قابل سمو الأمير... كما ذكر لي أنه يحب الرسم كهواية فقط. وقد سرر كثيراً لما علم أنني لا أفضل على الرسم هواية أخرى...»

3- وكتب الفقرة الثالثة هو المرحوم جاسم المشاري، وكانت مجلة البعثة تكتب اسمه هكذا: قاسم مشاري، وهو جاسم المشاري الحسن البدر تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وتدرج في الوظائف الحكومية حتى صار وكيلاً لوزارة العدل قبل أن يتقاعد ويعمل في المحاماة. اختير عضواً في المجلس البلدي في إحدى دورات انعقادها. وكان دمث الأخلاق، محبوباً من الجميع مرتبطاً بأصحابه الأوائل أشد ارتباطاً. وكان نص ما كتبه:

«كان ذلك عندما كنا نعيش في مصر الداخلي بالمدرسة السعيدية أول مجيئنا إلى القاهرة. ففني ليلة من ليالي الشتاء الباردة عندما أوبنا إلى مخادعنا وسرير الدفء في أجسامنا رحناً في نوم عميق زاد من لذته التعب الذي قاسيناه طول النهار.. ولعبت في رأس أحدنا الأحلام قرأت في منامه أن ثعباناً طوله يزيد على المترين ضخماً أسود اللون يلاحقه بسرعة في أحد شوارع الكويت وقد فرغ فاه وأدلى لسانه.. وصاحبنا هذا يجري مسرعاً ولكن دون جدوى.. وإذا بالثعبان يهجم عليه ويطبق على فقا، فيصرخ ويقفز فقرةً شديدة. كل هذا وهو نائم، فلما أفاق على أثر ذلك وجد نفسه تحت سرير زميله المجاور له!.. ولشدة صرخته أحس بها أحد الزملاء فنقلب في فراشه وهو يتنمر من هذه الأسود التي تزار في حديقة الحيوان المجاورة للمدرسة؟.. معتقداً أن هذه الصرخة صادرة منها..

.. ثم أيقظ صاحبنا الذي حلم هذا الحلم مزعج أحد زملائه ليبلغه خوفه الشديد.. فقال له: أقرأ سورة الحمد تطمئن نفسك فأخذ يتلوها ويردها حتى أيقظنا جميعاً من نومنا النديب!..»

4- وكتب الفقرة الأخيرة في الصفحة المشار إليها الطالب - آنذاك - يعقوب الحميضي، الذي تخرج في إحدى كليات جامعة القاهرة، وقام بأعمال كثيرة بعد تخرجه، منها ما هو خاص به ومنها ما هو عام، رأس تحرير جريدة (الفجر) في سنة 1953م، وكان عضواً في المجلس التأسيسي، ثم في مجلس الأمة. في الدورة التي بدأت في سنة 1963م، وكان نص الفقرة التي كتبها: «ارتديت في أحد الأيام بيجامة جديدة وأخذت أتمشي في حديقة البيت مزهواً بها..»